



الجمعة البيتمية

وصرخه الصدى تنفذ خلال رأسي الساقط على صدري .. اليد
الديرة بالقوة تدع المزاج الذي يخرق طبلة أذني .

لو انني تنهت لقول الجدة المعجزة عندما قالت لي : انهما
لم تعرف عن جدي سوى انه مات ودفن على جسر النيل ، وانه قبل
ان يموت غاب سنوات طويلة لا تعرف له مكانا ، وانها ظلت تبحث عنه
في جنبات الوادي الاربعة بعد موته ، ولما يُست أخذت تندبه بمد
ذلك ، وكنت دائما اسمع جدتي وهي تصعد سلم بيتنا الخشبي تطلق
ندبا حزينا لا أعيه .. كنت اسألها لماذا تبكي في النهار وفي الليل ،
وكانت تنظر اليّ صامتة .

اندفع ضوء من فتحة الباب .. غمر المكان المظلم .. ظهرت
تشكيلات الرسوم وحروف الكتابة .. في فتحة الباب وقف الرجل
الذي ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدي الباطو الواسع الاكمام ..
في الليل يسير الحذاء ذو الرقبة رتيب الصوت يبعث ذلك «اللايط»
الذي يأتي من فتحة الباب باعثا بداخلي ونسا عطوفا .. والمصباح
اعور العين يطلق ظللا شحيحة على وشك أن تهوت .. وظل لخفاش
هائل مرتسم على الحائط يتحنن للطيوان .

- دورك في الفسيل اليوم .

نهضت ونظرت في عيني الرجل .. مددت له يدي ثم سحبتها ..
قلت ؟

- لماذا تتجه دوما زهرات عباد الشمس نحو الشمس ؟

جلست . مددت قدمي . التقطت قطعة من الخبز الجاف ،
ضغطتها بأصراسي ، تهشمت كعظام قديمة تنكسر .. كانت فتحة
قدميه تشكل رقم ثمانية ، وفتحة الباطو يتألق خلفها ضوء النهار ..
نفتت من خلال الفتحة .. ركبت الهواء ، كنت هناك في حقلنا
القديم .. كانت حديقة البرتقال تتوهج بلونها الاصفر الداكن ..
كنت هناك على شاطئ البحر الشديد الزرقة ، في ذلك الوقت من
العصر .. كانت المياه تصفق الحصى الصغير والمحارات تبدو ساكنة
تحت الماء .. وعندما عدت كانت بيدي سكين أود أن أغوص بها فسي
بطون الاشباح . ما زال مواء القط يعاصر المكان ، وما زالت أظافره
وردية لكنها تلوح في لون الدم .

كان النهار المخائل في ذلك اليوم باردا .. أعلى البناء الصخري
يستغيث ألواء ، تصطم موجاته الشتوية بالقباب الابوية ، ويندفع
هابطا حاملا روائح الازمنة القديمة ، والوديان النسبية ، والواحات
المحاطة بالرمال ، وقلاع الشواطئ المهجورة .

هبط القط الاسود درجات السلم العلوي شاحدا أظفاسه ،
تجول عيناه الصفراوان بالمر الصخري ، ملتهمتين الابواب المخنية
والتي تبدو كقوّهات المقابر .. كان القط الاسود شديد الغرور ..
صاح به الرجل الذي ينتعل الحذاء ذا الرقبة ، ويرتدي الباطو
الواسع الاكمام :

- بس .

خطب الارض بدمه اليهمني ، رفع القط الاسود رأسه ناحية
الرجل وساء بوحشية .. سكن الرجل الذي ينتعل الحذاء ذا الرقبة ،
وتملكه الخوف .. سار القط الاسود بهز عجيظه .. وقف امام
الابواب المغلقة . كانت سمعات وتهيدات تصالو من خلف الابواب ..
خمشها القط الاسود بأظفاره الوردية التي تلوح في لون الدم ..
تسلق الباب الحديدي محدثا خريشة .. وصل ظهر الحجرات .. دار
فوقها كلها ، ولم ينقطع مواؤه .

مددت قدمي من فوق الحصر الخوصي المهترى ، جالت عيني
عبر الفوش والترانيل ، والصرخات المحفورة على الجدران الاربعة ..
كانت الكلمات تتكلم عن الذي لم يظهر بعد ، والذي لم يلفظه رحم
مظلم مطبق على نطفة الخلق ، وثمة تواريح غائرة في جسد الجدار ..
الساعة واليوم والشهر والسنة .. حساب الزمن والخوف والمشيبي ،
رأيت بعيني رأسي كيف يضمحل الزمن وينتهي ككائن هائل سرعان
ما تتجمع جزئياته ويعود من جديد مرعبا .. ليستغيث الانسان
بالتعذيب عن ذلك الجو الفارق في الجنون .

ذلك الحامل الحديدي النافذ في الجدار الخلفي كمشقة
الحلم بالجل المتدلي والجسد المشنوق .. ما زالت أظافر القط
أحس بها تفرز في جسدي ، وتكشط جلدي .

نزعت وحدثت في فراغ المكان المحاصر بعينين مدعورتين .

كان المزاج الحديدي في رحلته اليومية يعود الى الخلف ،

.. أنتهي في نصف ساعة .

بالامس كان القظ يهاجم فطة ، وكانت تطلق مواء شيقا يتلوى في الليل ، لكن القظ لم يستطع فعل شيء سوى نهش لحم رقبتنا .
- يبدو أنك خرفت ،
- أغسل في الشمس ؟
- آخر أذار وأبلغ المسؤولين .

سحبت نفسي من مستطيل الشمس ، صعدت الثلاث درجات السفلية . سرت خطوتين على البسطة الوسطى وصعدت الثلاث درجات العلوية .. بدأت أعصر ملابسني في صمت .. وضعت السروال المثلث والقميصان الداخليين في الإناء البلاستيك .. فكرت ان استحم لكن النصف ساعة كان قد لفظ أنفاسه .. وذلك الحنين المشوب بالخوف يدفعني الى ان ارى الخارج من نافذة دورة المياه .. صعدت على الحوض ونظرت ، لكن القظ الاسود كان يكمن خلف النافذة . هاجمني بضراوة فسقطت من فوق الحوض .. كانت مخالبه وردية لكنها في لون الدم .. بعد ذلك منعت من الخروج الى دورة المياه .

كنت والجدة ألمجوز نجلس على سطح الدار .. كان وجهها المتفحص يعكس ذلك الحزن الذي ورتته عنها والذي دائما ما أحده بداخلي .. أسندت رأسي الصغير على رجلها المفردة وكفها الصغيرة تعبت بشعري الطويل .. كان ذلك في يوم الجمعة اليتيمة .. كان الغلمان الصغار يصعدون المئذنة القديمة ، ويلقون بالاوراق المطوية على هيئة أحجية مكتوباً فيها آيات لا تتغير « ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً .. ساكناً سا . ك . نا » . وأوعية فخارية تحت النافذة الشرقية للمسجد تتصاعد منها أنفاس البخور . ونسوة ينتظرن الفاتنين منكسات الرؤوس زائقات النظرات - الحر في الظهيرة - والنسوة في ظل المسجد ساعة الخطبة يقبعن منكسات ، والشارع يمتد الى بعيد ، ويسقط الافق عبر الحقول ولا أحسد يأتي .. لا أحد . لا الذي راح ولا الذي سافر . قالت لي جدتي : كان جدك شهماً .. كان سيد الرجال .. قلت لها : يا جدتي لماذا هذه الجبهة يتيمة ؟ .. قالت جدتي متتهدة : في ليلة سوداء جاء رجال غرباء وأخوه من حضني . قلت لهم : متى يعود ؟ حدجوني بنظراتهم ومضوا . قلت لها : يا جدتي لماذا هي يتيمة تلك الجبهة ؟ قالت لي : ظلت أسأل عنه ، قالوا انهم رجال السلطة وجدك سيخرس جسور النيل البعيدة . صرخت : أريد ان أعرف لماذا هي يتيمة ؟ نظرت جدتي الى قرص الشمس وقد كساه الغبار ، وظهر كرة شاحبة بيضاء . قالت لي : لم يعد جدك أبداً ، وعندما مات لم يعرفوا له بلداً .. دفنوه فوق جسر النيل .. كان قبره من الطمي .. تحرك هواء الظهيرة الراكد ، وجلست مقعياً ، كنت أنظر في عينها الخابيتين ، وخطوط الزمن الزاحف تطوي جلدتها الاسمر ، قالت : كان ذلك في منتصف ليلة بلا قمر . قلت مستعظفاً : أريد ان أعرف لماذا هي يتيمة ؟ نظرت نحوي ولت رجلها المفردة ثم قالت لي : انها لا تعرف لماذا هي يتيمة ؟

تحركت النسوة من تحت جدار المسجد .. حملن الاوعية الفخارية .. كانت نارها قد باتت رمادا ، وهمدت أنفاس البخور تماما .. كن صامئات وحزاني . حزن قديم لافح كهجير القيلولة .. يمتد عبر فوهات الاذقة والظلال المنكسرة ، والحر ينفت رائحة الجدران الطينية المحترقة .

ساعة ان فتحت عيني كانت ست اقدام تحوطني .. كانت الاحذية بلا رقبة .. لفت نظري انها لامعة ومن مقاس كبير .. كانت العيون تنظر الي من مكان قرب السقف .
- عامل ايه يا ٢٣ ؟

نهضت - كان ظهري يؤلمني - جهمت حجاجياتي التسخة .. وضعتها في الإناء البلاستيك ووضعت معها الصابونة الميري والليفة الخشنة .. لفتت الفوطة الصفراء حول رقبتني ، وأسندت الإناء الى صدرني .. وسع لي الرجل الذي ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدي الباطو الواسع الاكمام ،

هبطت الى الضوء الذي يغمر المر .. الذي يغمر الضالم .. كانت الشمس راقدة في نعومة على أرض المر في شبه مستطيل .. كان الرجل الذي يرتدي الحذاء ذا الرقبة ويرتدي الباطو الواسع الاكمام يتبعني ، ويميون أحسن بها من خلال ثقب الابواب -سومض بالحنين الى ضوء النهار .

يا الهي الطيب . اليوم هنا مستقل بالتأكيد .. منفصل عن نسيم الحياة .. يوم لا يبدأ بشمس الصباح الراقدة على بسطة السلم الثالثة ، وتظل تنسع في مسيرتها . ولا ينتهي بها وقد لوحت أعلى الجدران بشعاعها الشتوي الذليل .. اليوم هنا تنبعث فيه امان وأشواق وتواد فجأة كما انبعثت فجأة .. ذلك لان الاسوار عالية وللمصافير جهد في الطيران .. حلقات الضوء الحمراء في الظلمة تشكل أطراف الذين لا أعرف : هل ماتوا ام ما زالوا احياء ؟

كان مستطيل الضوء يحتل مكانه أمام باب دورة المياه .. تخطيته وضعدت الثلاث درجات السفلية ، ثم سرت خطوتين على البسطة الوسطى .. قرأت كلمة مكتوبة على الحائط بعثت في نفسي التفرز .. كانت دورة المياه في الصباح تتنفس روائح كريهة . صعدت الثلاث درجات العلوية .. صناير المياه خربة والماء لا يكف عن التدفق .. وضعت الإناء البلاستيك في الحوض وبدأت في دك ملابسني بالصابون الميري . كنت ادس رأسي في « كلوش » صوفي يتدلى حتى اذني . هبطت الثلاث درجات العلوية وسرت خطوتين على البسطة الوسطى ، ثم هبطت الثلاث درجات السفلية . خرجت من باب دورة المياه .. نظرت يميني الى السلم الذي يقود الى سطح الأرض . خطوة واحدة وأكون في مستطيل الشمس .. الآن انا في مستطيل الشمس تفهمني وتتسلل الى عروفي ، اعدو في أميال الضوء الكاشفة عن عري المكان .. اجلس في ساحة قرنتي أنا والصيبة الصغار ، تلعب لعبة المطاردة .. أستلقي على الجسر الرملي معرضاً جسدي للشمس الهابطة . عاد الرجل الذي ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدي الباطو الواسع الاكمام الى المنطقة سريعا .. صاح بي :

- أنت مجنون .. أدخل الدورة .
- دعني أغسل هومي في الشمس .
- ممنوع .
- سنة بلا شمس تعني الكثير .
- أدخل الدورة .

قلت له انني غالباً ما أسمع تحت الأرض أننا لا ينقطع طوال الليل .. قال لي : ان الذي قبلي قال مثل هذا الكلام ولما نغلقه الى مكان اخر كان يسمع نفس الانين .. قلت :

- ألم تخف أبداً ؟

- كنت أخاف وأنا صغير .

قلت له : انني كثيراً ما أخاف بالليل ، عندما تتحسس يدي صخر الجدران ، وانني لا أنام ليالي بطولها من مواء القظ الذي يحاصرني . قال : انه لا يعرف عن هذا الموضوع شيئاً .

الحرفية نفاذ أسوارها

(٢)

إذا ذمعة ، ،
سقطت في صحاري الغضب
شربتها الرياح
ولكنها قصب للرياح
إذا سقطت ..
في اصول الشجر

(٣)

أعدني لعينيك ..
اني أحب سماع الحقيقه
لقد خنقتني غيوم المداخن ..
مفتوحة في عراء الطيور
وأعشاشها مقلقه
سحيا معا في الطريق
نجوع
ونعري
ونبكي معا في الطريق
ولكننا أبدا ..
لن نموت
ستزرعني النظرة المشتهاة ..
هنا .. وهناك ..
وخلف البيوت
حديثه

عادل العامل

الكوت (العراق)

(١)

جدور الحقول القديمه
تعود خلال الجدور الجديدة ..
بعد الشتاء
وذلك النخيل الذي اجتثه الخوف
(خوف الثعابين ، ،
لا خوفا نحن أطياره العائده)
سيمتد تحت الرؤوس المدلاة ..
تحت السماء
لنا .. غابة من جسور وماء
فمختارة (✕) الزنج ..
قلب الحديقه
وأسوارها ..
عربات الرجال

●

قديم هو الموت ..
فوق الفرات الذي امتلات ضفتاه ..
امتلاء تفجر صوت المغني ..
بأزهاره ..
والدموع
ولكن بين القلوع
وبين الجدور القديمه
سيبقى أعتلاء الضفاف البعيدة ..
أغنية الكادحين .

(✕) المختارة - عاصمة ثورة الزنج بقيادة علي بن محمد .

رحلة الشروق والغروب ، وهبات الهواء في فضاء الحقول تطوحها
لكنها أبدا لم تنحن .

عندما صعدت الدرجات السبع ودلفت يمينا سبقتني أحدهم .
كانت الليلة شديدة البرودة . وفي ذلك الوقت اشتد مواء القط
واندفع يلوح المر الصخري في هياج بدائي يخمش الابواب ويسدور
متحنزا .

كان الصقر الذي أستاذس بصوته كل ليلة فاردا جناحيه قرب
النجوم . دار حول المذنة الصامتة والقباب العالية .. انقض على
المر الصخري وهو يطلق صيحة اقشعر بدني لها وأنا جالس امام
الرجل الذي لا يأتي الا بالخوف .. كان يتفحصني بمينييه الثاقبتين .
الصقر على المر .. وعينا الرجل تمكسان وهجا خاطفا .. القط
يدور ويطارد ظلام الليل . أشياء مفزعة تتلاحق ، سرداب محفور
في الارض ، أجنحة تنظير مجهولة .. أحاول الهروب من العينين
بلا جدوى .. الصقر يشرع مخالبه الى الامام ، الخالب تقبض على
وجه القط الاسود ، والنتقار المقوس يسمل العينين الصفراوين .

سعيد الكفراوي

(القاهرة)

- كما ترى .

- استعد مطلوب فوق .

قالها ثم انسحب من الحجرة وتبعه الانان .. حطت على صدري
كل مخاوف العالم وهبت رياح آتية من أقيية عفتة رطبة .

كان منتصف الليل شديد الظلمة ، وظل الخفاش المحتضن
الحائط يتحفز للطيران . بدا البناء في تلك الساعة هائل الجرم ..
تذكرت القلاع المهملة على شواطئ البحار ، والامواج تحدث بجدرانها
فراغات ، وتلطمها بصوت مخيف .. كانت أشياء كثيرة في الليل
تتعثر وتضيق .. بجوار العيطان تزحف حيوانات وحشرات سامة ..

أحكمت معطفي حول رقبتني .. عندما خطوت خارج الباب كانوا
يقفون صفا واحدا .. سرت في المر .. ثمانني اقدام تتحرك ،
قدمان تنقلان خطوهما في وجل مرتعش كضوء مخنق والصوت يعن
في رأسي : تلك الجمعة لماذا هي يتيمة يا جدتي ؟ وجدي لمساذا
لم تعشري على قبره ؟ والرجال الذين راحوا لماذا لم يودوا ؟
والا وصلت منتصف المر كانت زهرة عباد الشمس ذات التويج
الاصفر مشدودة دائما بالخيوط الذهبية ، تتبع مسار الشمس في